

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ (٤٥) وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ﴿٤٦﴾

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ:

« مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ... »

إِخْوَتِي الْأَعْرَاءُ،

وَالثَّقَافِيَّةِ، وَالْأَخْلَاقِيَّةِ. وَبِهَذَا قَدْ أَنْهَى الْجَاهِلِيَّةَ الَّتِي كَانَتْ هَذِهِ الْفِتْرَةَ مَلِيَّةً بِالْجَهْلِ، وَعِبَادَةَ الْأَصْنَامِ، وَالْفُسُوقَ، وَالظُّلْمَ، وَكُلَّ مَا هُوَ بَعِيدٌ عَنِ السَّلَامِ. وَبَدَلًا مِنَ الْجَهْلِ بَنَى مُجْتَمَعًا جَدِيدًا، تَسْوُدُ فِيهِ الْمَعْرِفَةُ، وَالْعَدَالَةُ، وَالْحِكْمَةُ، وَالْإِخْوَةُ، وَالْأَخْلَاقُ الْحَمِيدَةُ.

إِنَّ أَوْلِيكَ الْمُحْتَقِرِينَ، وَالَّذِينَ تَشَوَّهَ شَرَفُهُمْ وَكَرَامَتُهُمْ، وَالَّذِينَ تَرَكُوا بِمُفْرَدِهِمْ، وَالَّذِينَ فَقَدُوا إِنْسَانِيَّتَهُمْ، وَأَسْوَدَّتْ قُلُوبُهُمْ، كُلُّ أَوْلِيكَ فِي أَمْسٍ الْحَاجَةِ إِلَى مَبَادِيٍّ وَأُسُسٍ نَبِيًّا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَصْغِي وَنَفْهَمَ جَيِّدًا هَذِهِ الْآيَةَ الَّتِي فِي هَذَا السِّيَاقِ. يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَسْأَلُكُمْ أَنْ تَجِيبُوا اللَّهَ وَلِرَسُولِهِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۚ﴾ دَعَا نَبِيًّا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْبَشَرِيَّةَ إِلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ تَعَالَى وَحْدَهُ، لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنْ يَعْبُدُوهُ وَحْدَهُ دُونَ غَيْرِهِ. لَقَدْ جَلَبَتْ دَعْوَتُهُ لِلْمَوْتِ حَيَاةً، وَلِلظُّلْمِ عَدْلًا وَلِلْجَهْلِ مَعْرِفَةً، وَلِلْفُسُوقِ رَحْمَةً، وَلِلْخُسُومَةِ صُلْحًا. وَبِهَذَا أَدْرَكَتِ الْبَشَرِيَّةُ مَرَّةً أُخْرَى الْمَعْنَى الْحَقِيقِيَّ لِلْخَلْقِ وَالْغَرَضَ مِنْهُ وَحِكْمَتَهُ.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْكَرِيمُ،

نَحْنُ كَأُمَّةٍ مُسْلِمَةٍ يَجِبُ أَلَّا نُنْسَى أَبَدًا أَنَّ طَاعَةَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ، وَسَبَبٌ لِمَحَبَّةِ اللَّهِ. كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي قَرَأْتَهُ فِي بَدَايَةِ الْخُطْبَةِ يَقُولُ نَبِيُّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ...» وَكَمَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ۗ﴾

إِخْوَتِي الْأَعْرَاءُ،

يَجِبُ أَنْ نَتَّخِذَ النَّبِيَّ قُدْوَةً لَنَا فِي كُلِّ مَا نَفْعُومُ بِهِ فِي حَيَاتِنَا. وَلَا يَكْفِي فَقَطْ ذِكْرُهُ وَالصَّلَاةُ عَلَيْهِ؛ بَلْ يَجِبُ أَنْ نَطْبِقَ كُلَّ مَا عَلَّمَنَا إِيَّاهُ فِي كُلِّ شَطْرٍ مِنْ حَيَاتِنَا. لَقَدْ بَلَّغْنَا بِالْوَحْيِ وَوَضَّحَهُ لَنَا، وَعَاشَ بِالْوَحْيِ وَبِمَا جَاءَ بِهِ، وَطَبَّقَهُ فِي حَيَاتِهِ. إِنَّ طَرِيقَةَ التَّخَلُّصِ مِمَّا نَحْنُ بِهِ الْآنَ

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْكَرِيمُ،

سَنَكُونُ مَعًا غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لِنُحْيِيَ ذِكْرِي لَيْلَةَ مَوْلِدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ الَّذِي بُعِثَ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وَبِمُنَاسَبَةِ هَذِهِ الذِّكْرَى الطَّيِّبَةِ أَبَدًا خُطْبَةَ الْيَوْمِ بِنَهْتِكُمْ بِيَوْمِ الْجُمُعَةِ الْمُبَارَكِ، وَبِذِكْرِي الْمَوْلِدِ النَّبَوِيِّ، وَأَدْعُوا اللَّهَ أَنْ يَرْزُقَنَا الْخَيْرَ جَمِيعًا.

إِخْوَتِي الْأَعْرَاءُ،

نَبِيَّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ مَصْدَرُ السَّعَادَةِ لِكُلِّ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ (٤٥) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٦﴾ فَتَجِدُ كُلَّ الْأَخْلَاقِ الْحَسَنَةِ فِي نَبِيَّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ كَالصَّبْرِ، وَتَحَمُّلِ الْمَشَاقِّ، وَالْمُتَابَرَةِ، وَالشَّجَاعَةِ. فَهُوَ قُدْوَةٌ لَنَا فِيمَا جَاءَ بِهِ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَكُلُّ مَا جَاءَ بِهِ أَخْرَجَ الْبَشَرِيَّةَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْأَفْضَلُ،

لَقَدْ بَدَّلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَوَالَ فِتْرَةِ نُبُوَّتِهِ الَّتِي اسْتَمَرَّتْ ثَلَاثَةَ وَعِشْرِينَ عَامًا، عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ بِالتَّوْحِيدِ بِاللَّهِ، وَبَدَّلَ الظُّلْمَ بِالْعَدْلِ، وَالْعَدَاوَةَ بِالْإِخْوَةِ، وَالْجَهْلَ بِالْعِلْمِ. فَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُدْوَةً حَسَنَةً لِلْإِنْسَانِيَّةِ جَمِيعًا بِخُلُقِهِ الْحَسَنِ. لَقَدْ حَارَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلَّ فَسَادِ الْمُجْتَمَعِ الَّذِي كَانَ يَفْسُدُ الْإِنْسَانِيَّةَ. وَنَجِدُ نَتِيجَةَ ذَلِكَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْدَثَ التَّجْدِيدَاتِ الْأَسَاسِيَّةَ اللَّازِمَةَ، وَأَحْدَثَ أَيْضًا تَجْدِيدَاتٍ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِنَ الْأُسْرَةِ حَتَّى الْمَجَالَاتِ الْاِقْتِصَادِيَّةِ، وَالاجْتِمَاعِيَّةِ،

مِنَ الْأَزْمَاتِ الْمَادِيَّةِ وَالْمَعْنَوِيَّةِ سَتَكُونُ مِنْ خِلَالِ فَهْمِنَا وَتَطْبِيقِنَا
لِمَا جَاءَ بِهِ نَبِيَّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَلِأَجْلِ إِحْيَاءِ الْجِيلِ الْجَدِيدِ
يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَفْهَمَ مَا جَاءَ بِهِ نَبِيَّنَا وَنَعِيشَ بِهِ.

وَلَنُخْتِمَ خُطْبَتَنَا بِكَلَامِ نَبِيَّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "أَنَا دَعْوَةُ أَبِي
إِبْرَاهِيمَ، وَبِشَارَةِ عِيسَى بِي، وَرُؤْيَا أُمِّي النَّبِيِّ رَأَتْ" وَالصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ وَعَلَى الْأَنْبِيَاءِ أَجْمَعِينَ.

